اقليم الاحواز
في ظل الدولة العربية الاسلامية*

رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي تقدم بها احمد شهاب احمد المظفر الى كلية الآداب / جامعة البصرة، ١٩٨٨

عرض ونقد: الدكتور محمد كريم ابراهيم
رئيس قسم الدراسات التاريخية والجغرافية
مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة

تعالج هذه الرسالة موضوعا حيويا ومهما إذ تبرز صفحة ناصعة من صفحات جزء مغتصب من وطننا العربي وتبرهن بأدلة كافية ملامح عروبته واصالتـه في العصور الوسطى الاسلامية، وهي دراسة شاملة لاحواله السياسية والاقتصادية والفكرية.

يتحدد مجال الرسالة بدراسة اقليم الاحواز الذي يعد امتداداً لجنوب العراق من النواحي الطبيعية والبشرية والتاريخية، وارتبط ـ منذ اقدم الازمنة ـ بتاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي، لذلك كانت تسمية هذا الاقليم بـ: الاحواز، تسمية عربية قديمة، فالحوز لغة مأخوذة من الحوز في الارض الذي يتخذه رجل ويبين حدوده فيستحقه ولايكون لاحد فيه حق، والحوز ايضا موضع يحوزه الرجل ويتخذ حواليه مسناة، وهو يحمي حوزته اي مايليه ويحوزه، والجمع احواز.

انطلق الباحث من فرضية او فكرة رئيسية وضعها عند اختيار موضوع رسالته، وهي اهمية اقليم الاحواز ودوره في التاريخ العربي الاسلامي، مما استدعى دراسته دراسة شاملة تحيط بجوانبه المختلفة في ظل الدولة العربية الاسلامية، وقد انهى دراستـه بسنـة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م، بسبب قلة مشـاركـة الاحـواز في الاحـداث

* نوقشت في قاعة القبة الفلكية بتاريخ ٩ / ١ / ١٩٨٩.

السياسية خلال حقبة التسلط السلجوقي للعراق والممتدة بين ٤٤٧ ـ ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ ـ ١١٩٣ م، فضلا عن تكرار الكثير من مظاهر وملامح التسلط البويهي خلال حكم السلاجقة.

يتكون متن الرسالة من الفصل الاول حتى نهايتها من (٣١١) صفحة، موزعة على اربعة فصول اساسية واربعة ملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع ثم خلاصة للرسالة باللغة الانجليزية بواقع اربع صفحات وصفحة للعنوان باللغة الانجليزية، وتجدر الاشارة الى ان الباحث جعل مقدمة الرسالة الخاصة بنطاق البحث وعرض المصادر مستقلة في ترقيمها بالحروف الابجدية، وقد شغلت (١٧) صفحة، وبذلك يصبح مجموع عدد صفحات الرسالة (٣٣٣) صفحة.

بدأ الباحث بدراسة جغرافية الاحواز التاريخية في الفصل الاول، استعرض فيه تسمية الاحواز عند المؤرخين والجغرافيين القدامى والاختلاف حول لفظة احواز التي قلبها الفرس الى (اهواز)، كما اطلقوا على الاقليم اسم (خوزستان)، ثم سموه عربستان في حقبة حكم الصفويين، ومعناها: اقليم العرب، وهذا دليل واضح على اعتراف الفرس انفسهم بعروبة هذا الاقليم. وقد اسهب الباحث بتحديد اقليم الاحواز ومعالمه بالرجوع الى المصادر التاريخية والجغرافية ودرس اقسامه الطبيعية ومناخه وانهاره ومدنه المهمة، ثم درس الوجود العربي في الاحواز منذ عصر ماقبل الاسلام، هذا الوجود المتمثل بعدد من القبائل العربية المعروفة التي هاجرت الى الاقليم واستوطنته مثل تميم وعبد القيس وحنظلة وبكر بن وائل، وازداد ذلك الوجود بعد ظهور الاسلام وقيام حروب التحرير العربية.

وكانت دراسة الاحوال السياسية لاقليم الاحواز خلال العصور التاريخية من نصيب الفصل الثاني، بدأه بلمحة عن احواله قبل الاسلام مستعرضا تاريخه، لكن الباحث ـ مع الاسف ـ ركز على دراسة منطقة عيلام وكأنها هي الاحواز، ثم درس دولة ميسان (ص ٥٨ ـ ٦٥) ووضع قائمة باسماء ملوكها وهي امور لاعلاقة لها بالموضوع مباشرة، ثم درس الوجود العربي في الابلة، اذ ان تحرير الاحواز ارتبط بتحرير البصرة، وبرز دور القبائل العربية خصوصا قبيلة بكر بن وائل التي اشتدت هجماتها بعد الانتصار العربي الكبير على الفرس في معركة ذي قار الحاسمة، ثم اوضح دور القادة العرب وهجماتهم ضد الفرس امثال: قطبة بن قتادة السدوسي والمثنى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد في استكمال تحرير منطقة البصرة ثم تحرير الاحواز من السيطرة الفارسية حتى جاء دور عتبة بن غزوان مؤسس البصرة والتي كان لتأسيسها اكبر الاثر في تحرير الاحواز، وواصل الباحث دراسته لتحرير الاحواز واهميته (ص ٦٦ ـ ٧٩)، كما درس الاحواز في العصر الاموي (ص ٨١) موضحا ابرز الحركات السياسية مثل حركة الخوارج الازارقة واثرها على اقليم الاحواز،

ودرس الاحواز في العهد العباسي الاول (ص ٩٤) ثم الاحواز في العهود العباسية المتأخرة (ص ١٠٥) فاسهب في دراسة احواله خلال فترة التسلط البويهي وحتى سيطرة السلاجقة على العراق بعد سيطرتهم على الاحواز سنة ٤٤٦ هـ.

وفي الفصل الثالث درس الباحث الاحوال الاقتصادية لاقليم الاحواز، وهو فصل فيه تطويل وتضخيم لامبرر لهما، وكانت موضوعاته متنوعة وكثيرة، فقد درس الزراعة والمحاصيل الزراعية واشهرها اشجار النخيل والفواكه والحبوب وقصب السكر ثم درس النبات الطبيعي والثروة الحيوانية في الفقرة الثانية وفي الفقرة الثالثة درس الاراضي الزراعية وانواعها الاراضي ثم درس الضرائب بكل انواع وتفاصيلها، بعد ذلك درس الصناعة وابرز الصناعات وهي صناعة المنسوجات والخزف والزجاج، والصناعات الغذائية والمعادن ثم درس في الموضوع الثالث التجارة فتحدث عن التجارة والصيارفة وعوامل ازدهار التجارة واثارها ودرس التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية، ودرس الصادرات والواردات وطرق المواصلات واماكن ضرب النقود ثم ذكر جداول ضرب النقود ودور الضرب في الاحواز خلال العصر الاموي والعباسي ونماذج للدراهم التي سكت في مدن الاحواز الشهيرة، وكان فصلا مطولا مليئا بالعناوين الجانبية والتشعبات الكثيرة فيه مبالغة وتطويل لاداعي لهما امتد من ص ١٣٣ - ٢٠٧.

وكان الفصل الرابع والاخير دراسة عن الحياة الفكرية في الاحواز بدأه بتحديد عوامل ازدهار الحركة الفكرية وهي: القرب الجغرافي الوثيق بين الاحواز والبصرة وكور دجلة وواسط، ومساهمة الدولة في العالم الاسلامي عموما بتشجيع العلماء وتوفير الرعاية لهم، ففي بيئة الاحواز اصبحت اللغة العربية لغة العلم والادب فضلا عن كونها لغة الادارة والسياسة. ثم درس الباحث اماكن التعليم بدءا بحلقات التعليم قبل انتشار المدارس، وكانت الحلقات تقام في المساجد ومنازل العلماء ودكاكين الوراقين، موضحا اهمية المسجد ودوره في الحركة العلمية، ومن اماكن العلم ايضا الكتاتيب موضحا دورها واهميتها بعدها اسست المدارس ثم كان للمكتبات دور مهم في الحياة الفكرية.

درس الباحث (ص ٢١٦) العلوم في الاحواز، وهي العلوم الدينية وابرزها علوم القرآن ثم علوم الحديث والفقه مشيرا الى مؤلفات علماء الاحواز في علوم الحديث ثم درس علوم العربية واهمها اللغة والنحو والشعر مشيرا الى اكبر العلماء الذين برزوا فيها ثم انتقل الى دراسة العلوم التاريخية والجغرافية، وكان من اقدر علماء التاريخ ابو هلال العسكري مؤلف كتاب (الاوائل)، ولابي احمد العسكري كتاب في التواريخ المحلية عنوانه: (عسكر مكرم) وله كذلك كتاب (مشتبه النسبة) و(الكنى والانساب)، ومن مؤرخي الاحواز محمد بن القاسم الهاشمي المعروف بأبي العيناء المتوفى سنة

٢٨٣ هـ. اما في الجغرافية فلم تشر المصادر لعلماء جغرافيين باستثناء بزرك بن شهريار الرامهرمزي مؤلف كتاب (عجائب الهند)، وقد استعرض الباحث هذا الكتاب (ص ٢٤٥ - ٢٤٧)، ثم انتقل الى دراسة العلوم العقلية وهي: الفلسفة وعلم الكلام مركزا على انتشار مبادىء المعتزلة في الاحواز، بعد ذلك درس الطب ثم الصلات العلمية بين الاحواز والعالم الاسلامي تناول فيها رحلة العلماء من والى الاحواز.

اما الملاحق الاربعة فكانت ملاحق توضيحية تكمل الرسالة، فالملحق الاول عن قادة تحرير الاحواز، والملحق الثاني عن ولاة الاحواز، وقد ابتدأ بسنة ٧٧ هـ وذكر عدة ولاة دون تحديد سنة ولايتهم وانتهى فيه الى سنة ٣٩١ هـ، وكان الملحق الثالث عن ولاة الخراج والمعاون في الاحواز بدأ منذ عهد الخليفة المتوكل، والملحق الرابع عن قضاة الاحواز.

الواقع ان الباحث استطاع ان يثبت فرضية البحث بابراز اهمية الاحواز خلال العصور الاسلامية من النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية واوضح اهمية هذا الاقليم وموقعه الستراتيجي المهم الذي كان عاملا من عوامل تعرضه لسلسلة متواصلة من الصراع بين عدة قوى منذ عصور ماقبل الاسلام وخلال العصور الاسلامية من اجل السيطرة عليه والتحكم بمقدراته وثرواته الطبيعية الهائلة، كما اثبت الباحث ان الوجود العربي في الاحواز كان وجوداً فاعلا ومؤثرا منذ اقدم الازمنة وكان لهذا الوجود اهميته ودوره في حروب التحرير العربية التي حررت هذا الاقليم من السيطرة الفارسية ليأخذ مكانه ودوره الحقيقي في ظل الدولة العربية الاسلامية.

تبدو ايجابيات الرسالة واضحة من خلال اختيار دراسة هذا الموضوع الحيوي المهم الذي يمثل حلقة من حلقات الصراع الفارسي - العربي منذ اقدم العصور وحتى الان، فقد اثبتت الدراسة اصرار الفرس على استغلال اقليم الاحواز والسيطرة عليه واستمرت تلك المحاولات حتى العصور الحديثة حيث هيمن الفرس عليه بمؤامرة استعمارية مكشوفة وبذلك سلب جزء مهم وحيوي من وطننا العربي العزيز، وهذا الاغتصاب يشابه الاغتصاب الصهيوني لفلسطين في العصر الحديث ايضا، وقد اوضحت الدراسة بما لايقبل الشك الادلة الكافية لاثبات عروبة الاحواز تلك الادلة الطبيعية والجغرافية والبشرية واللغوية والتاريخية والحضارية، لذا فهي دراسة جديرة بالاهتمام.

اما الملاحظات التي يمكن تسجيلها على الدراسة وهي ملاحظات لاتخلو منها اي رسالة علمية جامعية فيمكن ان نقسمها على ملاحظات فنية واخرى علمية ومنهجية، ففي مجال الملاحظات الفنية نوضحها بما يلي:

١ - يفترض ان ترقم الصفحات الخاصة بمقدمة الرسالة وهي نطاق البحث وعرض المصادر ترقيما يستمر مع متن الرسالة بدءاً من الفصل الاول، وليس ترقيما

بالحروف كما فعل الباحث، اذ ان ترقيم الحروف ينتهي بعد اكمال محتويات الرسالة.

٢ ـ توحيد الجداول الخاصة بدور ضرب العملة ونماذج الدراهم التي سكت في مدن الاحواز مع ملاحق الرسالة وليس داخل الفصل الثالث.

٣ ـ تكون الخرائط في نهاية الرسالة وتأخذ تسلسلاً بعناوينها ويجب ذكر مصدر كل خارطة، لا ان تكون في بداية الفصل كما في الخارطة (ص ٥١) في بداية الفصل الثاني والتي كانت معظم مناطقها مكتوبة باللغة الانجليزية دون ذكر مصدرها، وكذلك عدم ذكر مصدر الخارطة على ص ٧٨.

٤ ـ التأكيد على توحيد المحتويات في قائمة المحتويات عند بداية الرسالة مع تلك العناوين في متن الرسالة وليس الاختلاف كما حصل على ص (د، ١) من المحتويات عنوان الفصل الاول: جغرافية الاحواز التاريخية وعلى الصفحة رقم (٢) كان العنوان: الجغرافية التاريخية للاحواز، فيجب توحيدهما، وفي المحتويات ص (د) الفصل الثاني: التاريخ السياسي لاقليم الاحواز، لكن على ص (٥٠) كان العنوان: الاحوال السياسية، وكذلك كان من فقرات الفصل ص (د): لمحة عن احوال الاقليم قبل الاسلام، وعلى ص (٥٢) كان العنوان: الاحواز قبل الاسلام! فيجب توحيدهما.

٥ ـ توقف الباحث في دراسة احوال اقليم الاحواز الى سنة ٤٤٧ هـ وهي سنة التسلط السلجوقي وكان من الافضل ان يحدد ذلك في عنوان الرسالة لا ان يجعل العنوان مطلقا: اقليم الاحواز في ظل الدولة العربية الاسلامية لان ذلك يعني الاستمرار الى سنة ٦٥٦ هـ.

وبخصوص الملاحظات العلمية والمنهجية فقد اشرت الى اهمها وهي الاسهاب والاطالة في مواضيع كثيرة واختصار المواضيع المهمة ذات الصلة المباشرة بموضوع الرسالة، فقد اطال في الفصل الاول حول الجغرافية التاريخية لاقليم الاحواز والفصل الجغرافي لايعدو ان يكون عملا مكررا في الرسائل الجامعية لايأتي فيه الطالب بشيء جديد، فقد كتب الكثير في موضوع الجغرافية التاريخية، وكان بامكان الباحث تطوير الفقرة الخاصة بالوجود العربي في الاحواز والتي لم تزد عن خمس صفحات، وفيها صور القبائل العربية وكأنها تقوم بغزو منظم احيانا وعشوائيا احيانا اخرى وجعلها في تنازع مستمر عند الاستقرار، كما برّز مدينة عيلام وكأنها هي الاحواز. وينطبق موضوع الاطالة على معظم فصول الرسالة التي عرضنا لها وكان عليه الاختصار بابراز بعض الجوانب المضيئة والتركيز عليها بدلا من تلك الاطالة المملة.

ومن الملاحظات العلمية الاخرى عدم التحليل والمقارنة والاستنتاج، ويجب الحذر من الاعتماد على بعض الرواة ورواياتهم مثال ذلك النقل عن كتاب النقائض لابي

عبيدة حول طلب القبائل العربية من الفرس السماح لهم بـدخول زيف الاحـواز (ص ٤٧)، لان امثال هذه الروايات تحمل الدس ضد العرب. وقد نقل ابو عبيدة روايته عن احد الشعوبيين وهو معمر بن المثنى الذي اورد له ابن خلكان (٨١) كتابا من اصل (٢٠٠) مثل كتاب خراسان، وفتوح الاحواز، وكانت وفاة معمر سنة ٢٠٩هـ.

اما الحياة الفكرية فكانت عبارة عن تراجم لشخصيات محدودة وعرض لبعض مؤلفاتهم وقد اقتصرت على القرن الرابع الهجري فقط في المعلومات وفي المصادر.
اعتمد الباحث على قائمة كبيرة من المصادر والمراجع المتنوعة، ورغم قوة المصادر والمراجع التي اعتمدها، الا ان هناك بعض الملاحظات حولها يمكن اجمالها بالاتي:

١ ـ اعتمد الباحث على ثلاث مخطوطات فقط (ص ٢٧٨)، كانت الثانية بعنوان: عجائب البلدان والجبال والاحجار لمؤلفها علي بن عيسى، الذي كان شخصا مجهولا فلم يذكر لنا لقبه ولاسنة وفاته ولا حتى القرن الذي عاش او مات فيه.

٢ ـ هنالك مؤلفون اخرون لم يذكر الباحث سنة وفاتهم مثل الباكوي ص (٢٨٠) وكذلك بزرك بن شهريـار، (ص ٢٨١) وابن بسام، (ص ٢٩١) وأبـو عبيدة مؤلف النقائض من هو؟ ومتى توفي؟

٣ ـ الاخطاء في اسماء المؤلفات مثال ذلك: (ص ٢٨٦) كتاب الذهبي معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، والصواب: والامصار، و (ص ٢٩٥) كتاب النباهي: تاريخ قضاة الاندلس المسمى بـ: كتاب المراقبة العليا. . والصواب: المرقبة، وكذلك هنالك أخطاء طباعية في اسماء المؤلفات مثال ذلك كتاب ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمـان (ص ٢٨٥) وردت كلمة (ابنـاء) مكررة، وعلى (ص ٢٩٨) ذكـر كتاب د. منـذر البكر: عـروبة الاحـواز قبل الاسلام، والصواب: الجذور التاريخية لعروبة الاحواز قبل الاسلام.

٤ ـ ذكر الباحث (ص ٢٨٢) كتاب تاريخ غرر السير للثعالبي وهو منسوب للثعالبي، مما يستدعي ذكر كلمة (المنسوب) بعد اسم الكتاب.

٥ ـ ذكر الباحث عـددا من الاساتـذة المحدثـين بذكـر اشارة لقبهم (د) التي تعني الدكتور، في حين لم يذكر ذلك لكثير من الاساتذة الافاضل ومنهم من هو بمرتبة الاستاذية وهذا خلل علمي واضح مثل الدكتور فلاح شاكر اسود وهو بمـرتبة استاذ (ص ٢٩٧) وكذلك الاستاذ الدكتور عبـد العزيـز الدوري (ص ٣٠٠) وغيرهم كثير، انظر الصفحات ٢٩٧ ـ ٣٠٦.

٦ ـ (ص ٣٠٨) ذكر العنوان: المقالات والبحوث، والصواب ان يكون العنوان: الدوريات، وهي التي تشمل المقالات والبحوث.

كذلك اود الاشارة الى خلو الرسالة من خلاصة باللغة العربية تتضمن ابرز النتائج التي توصل اليها الباحث في رحلته العلمية الطويلة وهي تكمل الخلاصة الطويلة التي وضعها باللغة الانجليزية والتي استغرقت اربع صفحات، ومع كل هذه الملاحظات يبقى موضوع الرسالة موضوعاً حيويا ورائدا مهما يكشف عن عروبة جزء مهم وحيوي مغتصب من وطننا العربي والذي سيعود الى حظيرة الوطن الام الكبير بعونه تعالى.